- وهكذا سقط القناع –

(سمر رجب)

التقت عقارب ساعة الحائط الشك بين مع بعضها تدق بصوت عالٍ معلنة عن يوم جديد لكنه يوم مختلف يأتي بالعام مرة واحدة فقط انه رأس السنة..!!

تحركت بحماس شديد نحو حاسوبها المتنقل لتفتح ذاك الحساب المزيف التي تعودت علي فتحه كل عام في نفس الميعاد لتضيف ضحية اخرى في مجلد الضحايا وتزيد ذنوب عظيمة في ميزانها عند الله!!

قطع تركيزها الشديد وتنقلها بين الصفحات للعثور علي مبتغاها صوت رنين هاتفها الخلوي الذي جعلها تتأفف وتحاول التهرب فعزمت علي الرد ببرود وانهاء المكالمة باسرع وقت للعودة الي ما ينتشي به قلبها..!

التقطت هاتفها واجابت باقتضاب

_ نعم.!

اتاها صوت رفيقتها الهادئ وهي تقول

_السلام عليكم كيف حالك يا هايدي .. ؟

ردت " هايدي " بتململ شديد :

_ وعليكم السلام الحمد لله انتي ماذا عنك أنتِ يا فاطمه كل عام وانتِ بخير.

_ وانتِ بخيرهايدي .. ماذا تفعلين الآن شعرت بالملل بعض الشئ فجال بخاطري أن أتحدث اليكِ لكي يمضي الوقت بنا ولنتحدث ونخرج ما يجول بصدرنا معا...!

تنهدت " هايدي " بضيق شديد حاولت اخفاؤه ولكن صوتها خدعها وتسربت تلك المشاعر السيئة الي " فاطمة " التي تابعت قولها بكلمات تنبعث منها نسائم هادئة طيبة

_ انا اعلم بأنني ثقيلة على قلبك وانا على يقين تام بانك لا تحبذي وجودي من الأساس وتتمنين الان ان تغلقي الخط معي وتركضين الي حاسوبك الشخصي لتفعلي ما تفعلين كل عام!!

ارتبكت " هايدي " وتملك الغضب منها بقوة حتى ان صوتها كان يهدر بعنف وهي تجيبها

_ نعم .. ما هو ذاك الذي افعله كل عام يا هذه . . . من اعطاكِ الحق بأن تتحدثي الي بهذا الأسلوب انتبهي لحديثك فاطمة.

ابتسمت " فاطمة " بهدوء وهي تقول بطيب خاطر:

_ انا اسفه لا تحزني بسببي ولا يحمل قلبك ثقلا مني انا فقط احبكِ في الله ويصعب على قلبي رؤيتك تغرقين واتركك يا هايدي . . . صدقيني لقد جننت عندما اخبرتني " زينب " اريدك ان تسمعيني جيدا ولا تقاطعي حديثي لانها قصت على كل شيء لانها تحبك ومن فرط خوفها عليكِ لما تحدثت أبدا صدقيني حبيبتي الغالية ولكن في حقيقة الاملا أيضا انا من اقسمت عليها كثيرا لكي تخبرني سبب حزنها وتفكيرها الزائد واقسمت عليها أيضا بأن تتركني اتحدث اليك وامنعك علني اقدر على ذلك لكي . .

قطع حديثها صوت صراخ " هايدي " وهي تقول بوقاحة متناهية:

_ شقيقتك تلك انا من سيعيد تربيتها من جديد ومن تلك الليلة لا اريدها بحياتي كما انني أيضا لا اريد معرفتك انت الأخرى وانصحك بعدم تكرار تلك المكالمة مرة أخرى لكي لا اقلل من احترامي معك واجعلك تشاهدين وجهي الاخر انا علي يقين انه لن يعجبك أبدا.

انهت حديثها الخالِ من الادب ثم اغلقت الخط بوجهها ولم تستجب لأي محاولات من " فاطمة " للحديث مرة اخري وما كان من الاخيرة سوي البكاء علي حال صديقة شقيقتها التي تمسك بيدها مفاتيح جهنم ونارها الموقدة بطريقها المظلم ذاك..!!

دوت صرخة عالية في اذن " هايدي " بعد تلك المكالمة تتذكر تلك الصرخة جيدا .. صرخة تسببت بكل شئ سيء يحمله قلبها حتي الان تلك الصرخة ما كانت الا صرخة والدتها عندما كان يضربها زوجها والد " هايدي " حتي قتلها يوما ما من كثرة العنف الجسدي ودخل علي اثر ذلك السجن لسنوات طويلة حتي مات وتعفن داخله .. لكن الثروة الضخمة التي تركها لابنته الوحيدة جعلت الخاوية بطونهم المتعطشة قلوبهم لحب المال يشتتون امرها بينهم من منزل الي منزل بين افراد العائلة حتي قررت ان تعيش بمفردها وصممت علي ذلك ..!!

منذ ذلك اليوم وهي تكره ان تري اي زوجين سعداء موفقين في حياتهم تكره ان تري بيوتا هادئة ساكنة تلتحفها الغيرة الشديدة المدمرة كلما رأت رجلا يقدس حياته الزوجية ويعطي الحب والحنان لبيته فقط فعزمت امرها علي شئ واحد فقط وهو الانتقام وتدمير اي منزل مستقر هادئ في كل عام تحديدا ليلة رأس السنة الليلة التي سقطت فيها والدتها جثة هامدة تنتقم لموتها بطريقتها الخاصة وتحرق الاخضر واليابس لأناس لا تعرف عنهم اي شئ ولكن هكذا صور لها عقلها الانتقام غير عابئة انها بتلك الافعال ستكون اخت للشيطان فليس هنالك من عمل محبب الي ابليس وقبيلته اكثر من التفريق بين المرء وزوجه ولا يوجد اي مبرر عند رب العالمين يواري تلك المعاصي!!

فتحت ذاك الحساب المزيف وزلت تتنقل بين صفحات بعض المستخدمين باحثة عن ضالتها حتي وجدت في احدي المجموعات النسائية منشور تسأل صاحبته عن تجربة الاخريات في حياتها مع زوجها ..تجاهلت تماما كل التعليقات السلبية التي تظهر معاناتهن مع شركاء حياتهن .. ركزت كل اهتمامها علي اللواتي يمدحن كثيرا في بعولتهن وحياتهن اللطيفة بصحبتهم..!

حتي وجدت اخيرا ما تبحث عنه ..سيدة تتغزل في صفات زوجها وصورة ملفها الشخصية تعبر عن سعادتهم وحبهم .. شعرت بالغبطة والغضب والحسرة فقررت ان تكون تسليتها هذه الليلة ولمدة اسبوع كامل لتلك الاسرة السعيدة بعد ان تجولت بصفحتها وصفحته ايضا وشاهدت الحب والمزح بينهم في التعليقات والمنشورات حتي كونت فكرة عن شخصيتيهما ,, شئنا ام ابينا للآسف ما يسمي بالفيس بوك جعل حياتنا مفضوحة للمحب والباغض لنا ,, !!

ارسلت " هايدي " رسالة الي تلك السيدة المدعوة " چيهان كامل " كما تحمل صفحتها من تعريف للاسم رسالة عبرى تطبيق « الماسنجر » وكان فحواها ينشر رائحة الكره والغل وسواد القلب ايضا حيث كتبت

- زوجك متزوج عليكِ ويتمني من صميم قلبه ان يطلقكِ ويلقي بكٍ في اقرب صندوق قمامة ولكي أكون منصفه هو يتمنى لكِ اكثر من ذلك يتمنى لكِ الموت !!

تحلي ببعض الدماء بعروقك واتركينا نعيش فرحين انه يقص على كل ليلة أنه يكرهك ويبغضك كثيرا ويحبني بل يعشقني انا لو انه لديك القليل مما تسكي الكرامة ارحلي عنا هو لا يحبك كما اخبرتك ويتجمل معك بالحب شفقة عليك لا اكثر وشفقة علي حال أولاده يخاف أن تهربي بهم وتحرميه من رؤيتهم لكنني لن اتنازل عنه ابدا ولن اصمت مرة أخرى واراه اتعذب واظل صامته هكذا ساخلصه منك لانه مضطر على العيش معك والتمثيل عليك كل دقيقة ها انا اخبرك انه لا مقارنة بيننا بعد اليوم اما وجودك بجواره او وجودي وبالطبع سيكون وجودي.

ببرودة اعصاب تامة انتهت من كتابة تلك الحروف المؤذية البشعة ثم اغلقت حاسوبها غير مكترثة بأية عواقب او اي ظروف ستعيشها تلك الاسرة بسببها ..

وضعت راسها على وسادتها تملأ السعادة والشماتة قلبها حتى ذهبت في نوم عميق ...!!

مرت بعض الايام القليلة حتي جاء مساء يوم ما كانت " هايدي " تشاهد في نومها والدتها تصرخ وتستغيث ووالدها يركض خلفها .. تعرق جسد " هايدي " وتأوهت برعب من ذاك الكابوس الذي لازمها طيلة تلك السنوات الماضية، فتحت عيناها بخوف شديد إثر دقات عالية متتالية على باب شقتها وصوت جهوري ذكوري يحثها بلهجة آمرة ان تفتح الباب وتمتثل لأوامره، تعالي صدرها وهبط بعنف ورعب وقلبها يكاد أن يتوقف من شدة دقاته وسرعتها، لكنها توجهت الي الباب وبصوت منخفض قالت:

- من بالباب .. من أنتم وماذا تريدون مني.

اتاها صوت رجل جاد مخيف حيث قال بثقة وثبات:

- نحن الشرطة عليكِ الان بفتح الباب والا اضطررنا لاستخدام القوة يا هذه.

= يا إلهي ماذا تفعلون امام بيتي انكم بالتأكيد مخطئون بعنوان البيت انا لست مشاغبة ولا مجرمة.

اجابها الضابط بلهجة قوية آمرة:

- سوف اعد للعشر ان لم تمتثلي لأمري وتفتحين الباب أرسلت اليك قبضة حديدية تأخذ قلبك من مكانه.

ارتعدت اوصالها من طريقته في الحديث معها ففتحت الباب بسرعة وهي ترتعش من الخوف والبرد أيضا وبمجرد أن رأت الضابط ومعه بعض العسكر أمامها بهيئتهم المهيبة تلك وقعت مغشيا عليها.

صحت " هايدي " من غفوتها الغير مقصودة لتشاهد امامها ضابط يجلس منكبا على أوراق امامه ويبدو انها الان في غرفة التحقيق فابتلعت ريقها قائلة بعزيمة قليلة مزيفة:

- هل من الممكن ان تخبرني ما الذي جعلكم تأتون بي الى هنا وانا البريئة التي لم ترتكب أي حماقة او شغب قد يضطرني للجلوس امام حضرتك الان هل هناك خطأ ما؟

نظر اليها الضابط شذرا ثم قال بحزم:

- تقدمي الى من فضلك واجلسي أمامي لكي نبدأ التحقيق معكِ علي وجه السرعة.

نهضت بأقدام مهزوزة وتقدمت اليه لتقول بصوت خائف:

- التحقيق معي أنا!! هل سيادتك متأكد من انك تتحدث الي الشخصية الصحيحة؟!

نظر اليها نظرة قوية ثاقبة قبل ان يتفوه بعصبية:

- اجلسي امامي الآن وسنرى اذا كنت متأكدا ام انني اهوى اللعب والتسلية يا هذه.

ابتلعت ريقها بصعوبة شديده ولم تستطع الرد لأن الخوف ألجم لسانها فجلست أمامه وهي منكسة الرأس ضعيفة الجسد والروح فتابع قائلا بتساؤل جدي:

- اسمك وسنك وايضا عنوانك بالكامل؟!

قالت باستخفاف:

- يبدو أنك تمزح سيدي هل من المنطقي أن تسألني عن تلك الاشياء وأنت من جلبني الى هنا بالتأكيد تعلم الاجابة أليس كذلك؟!

صرخ بها الضابط بصوت هادر بعث الفزع والاضطراب بداخلها:

- هل تسخرين مني ولك القدرة ان تتفوهين بالمزاح أيضا سأريك ما الذي سوف أفعله بك ان لم تنضبطي وتجيبي علي كل حرف أساله اياك بمنتهي الاحترام والطاعة انت هنا في مكان لابد أن تكوني فيه مثل الحذاء الذي ترتدينه بقدمك وتجيبي مثل الهرة علي أسئلتي فقط.

اجابته بنبرة مهزوزة تماما:

- اسمي هايدي عبد السلام محمود... أقطن ب... وسني اربع وعشرون عاما.

= ما هو قولك في المنسوب اليكِ في مقتل السيدة "جيهان كامل مرتضى" حيث وجدنا رسائل علي هاتفها المحمول من حساب مجهول علي الفيس بوك يقوم بتهديدها ومن حيث تتبعنا الحساب وجدنا انه يعود الي حاسوبك الشخصي فتحركنا علي اثر ذلك وقمنا باحضارك للتحقيق معك؟

لم تعِ " هايدي " ما يتحدث عنه الضابط، هزت رأسها بعدم استيعاب يقرب الى السذاجة ثم غمغمت بصوت باكٍ:

- **مقتل!! أحضرتك تقول مقتل؟!هل ما التقطته اذني صحيح ما .. ما الذي تقوله سيادتك مقتل ماذا وما علاقتي أنا به؟!**
  = السؤال هنا يكون ما علاقتك بالسيدة جيهان وزوجها وهل يوجد بينك وبين الاخير علاقة غرامية دفعتك لتهديد القتيلة للتخلص منها إما بالطلاق أو بالموت كما ذكرتي برسالتك لها؟!

- **أي رسالة تلك... اقتضبت حديثها ما ان تذكرت ما فعلته برأس السنة ورسالتها بالفعل لسيدة لتفرق بينها وبين زوجها كالمعتاد لكنها لم تفهم عن أي مقتل يتحدث الضابط.**

~~حثها الضابط علي وصل حديثها قائلا بصوت عالٍ:~~

- **تحدثي بسرعة أنتِ تضيعين الوقت وتجعلي صبري ينفذ وأنصحك بالا تحاولي أن تجربي نفاذ صبري لن يعجبك اطلاقا.**

وضعت كفيها على وجهها تبكي بانهيار متوسلة بضعف شديد:

- **ارجوك يا سيادة الضابط أن تشرح لي قليلا ما تتحدث عنه انني حقا لا افهم اقسم لك اني لا استوعب ما تقول... أي مقتل هذا وما علاقتي بتلك السيدة من الاساس ما الذي حدث. ؟!**

اجابها الضابط موضحا بتحفظ:

- **تم قتل السيدة جيهان وزوجها متغيب عن عين العدالة لم يثمر البحث عن مكانه حتى الان ولكننا وجدنا رسالة مضمونها تهديد صريح لشخص القتيلة من حاسوبك الشخصي وانت الان مطالبة بإيضاح الامر امام القانون.**

اشار الي الكاتب بجواره انا يكمل ما يسجل من حديث يدور امام ناظريه ومسمعيه ثم تابع قائلا بتساؤل جدي:

- اين هو زوج القتيلة .. وما هي ماهية علاقتك به؟!

بكت وانتحبت "هايدي وهي تخبره بحقيقة الامر وما تفعله كل عام

بعد مرور ايام مضت عليها كأنها اعوام لا تعرف ليلها من نهارها تم القبض علي زوج القتيلة واعترف بكل شئ حيث قال

- الشيطان انه الشيطان اللعين انا معرفش عملت كدا ازاي والله انا هتجنن انا مكنتش بحب في حياتي حد غيرها .. بعد راس السنه بكام يوم شديت انا وهي مع بعض عشان االموضوع اللي دايما بنتخانق عشانه كنت بغير عليها اوي وكنت عايزها تسيب الشغل بس هي كانت كل مره ترفض في الليلة دي بالذات كنت متعصب وشايط بسبب انها طلبتر. الطلاق وفضلت تبعد عني بس متسيبش شغلها كلمه مني وكلمه منها صوتنا بقا عالي مقدرتش استحمل خدت الجاكيت وقولتلها اا ماشي هروح عند امي لحد ما تاخدي قرار نهائي شدتني وقالتلي تعالي هنا انت رايح فين انا خلاص خدت قراري مش عايزاك شدبت ايدي منها جامد مكنتش اعرف انها هتقع تتخبط في راسها كدا مكنتش حاسس بقوتي وانا بسحب ايدي انا حتي فتحت الباب ومشيت من غيررما ابص ورايا هي حتي مصرختش لما وقعت ..

عند وصوله لتلك النقطه انهار باكيا بصدق ثم تابع بعد ان تمكن من الهدوء قليلا

- خوفت لما سمعت الخبر مقدرتش افكر صح بس انا والله العظيم ماكان قصدي اقتلها ولا حتي أأذيها دي روحي وراحت مني..!!

عند سؤاله عن " هايدي " بدا علي وجهه التعجب ونفي تماما اه يعرف عنها اي شئ .. وبعد البحث والتدقيق علي حاسوبها تأكدو من صحة اقوالها بانها ليست المرة الاول التي ترسل تلك الرسالة فامرو بالافراج عنها بعد ان توقع تعهدا بعدم تكرار مثل تلك الافعال ..!!

بعد ان خرجت بملابس رثة ووجه شاحب وقلب عليل تائب توبة جاءت بعد درس قاسي استحقته .. لم يذكر عقلها سوي " زينب و فاطمة " فاتجهت نحو بيتهن تقدم ساق وتؤخر الاخري .. وقفت امام المنزل مترده هل تدق الجرس ام تذهب من حيث جاءت .. شاهدتها " فاطمة " من النافذة ففتحت لها الباب بسرعة واخذتها بين احضانها فبكت هايدي فاخذت تذرف من الدموع حرها ..!!

اطعمتها وحثتها علي الاستحمام حتي تحضر لها ثيابا نظيفة .. خجلت " هايدي " من نفسها كثيرا عندما تذكرت كيف عاملتها هي وشقيقتها والان لم يمد احد يداه اليها سواهن ..!!

جلست معهن بعد ان استراحت قليلا فوجهت الحديث الي فاطمة حيث قالت بتوتر

- ربنا هيسامحني يافاطمه ولا خلاص غضبان عليا

اجابت الاخيرة بحب

- ربنا غفور رحيم ياحبيبتي ايوه ذنبك عظيم وكبير بس ربنا اكبر واعظم استسمحيه وقربيله اوي واترجيه واخشعي في صلاتك وكلميه بالقران الكريم واستغفريه علي اد ما تقدري